تعريف البرية بمنهج المدرسة السلفية
(أهل الحديث والسنّة)

فضيلة الشيخ الدكتور سعد الدين بن محمد الكبي ۞

مُقدّمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، ينفون عن الدين تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويبصِّرون بطريق الهداية أهلَ العمى، أما بعد:

فإن المدرسة السلفية هي دعوة الإسلام كما أُنزل على رسول الله ﷺ، وفهمها الصحابة ﷺ، وسار عليها التابعون رحمهم الله أجمعين، الذين يمثلون الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة، وقد اشتُهرت هذه المدرسة بمدرسة أهل الحديث والسنّة، لتعظيمهم حديث رسول الله ﷺ، واجتماعهم على السنّة في زمن خروج الفِرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثِنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة** ».[1] ولمّا سئل ﷺ عن الفرقة الناجية قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[2]

۞ مدير معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية في عكار شمال لبنان، والمدير المسؤول عن مجلة البحث العلمي الإسلامي، له عدة مؤلفات منها: المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام ـ رسالة ماجستير ـ والتعليقات الزهية على الدرر البهية للإمام الشوكاني، وشرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي، وغيرها.

[1] رواه أبو داود (٤٥٩٧) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن أبي داود.

[2] رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

وصدق رسول الله ﷺ، فقد افترقت الأمة ـ بمناهجها ـ بعد نبيها ﷺ وجيل الصحابة والتابعين، فظهر الخوارج الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، وخرجوا على عليّ رضي الله عنه فكفّروه وكفّروا الصحابة رضي الله عنهم.

وقابل هؤلاء فرقة أخرجوا العمل عن مسمّى الإيمان وجعلوا إيمان الزاني وشارب الخمر مرتكب الكبائر كإيمان الصائم القائم الذي لا يفتر عن العبادة، وهم المرجئة.

ومنها: فرق خاضوا في صفات الله عز وجل على جري العقول، وقاسوا الله بعقولهم، وأبَوا أن يقتصروا في معرفة الإله على ما وصف به نفسه في كتابه الكريم، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته الشريفة.

ومنها: فرق ابتدعت طرقاً في العبادة والذكر، كالرقص، وضرب الدف والطبل مع ما يسمّى ـ بالنوبة ـ وضرب الشيش الذي يعتبرونه من الكرامات، فضلاً عن اعتقادهم في بعض مشايخهم أنهم يعلمون الغيب، وينفعون ويضرون، فيستعينون ويستغيثون بهم وإن كانوا أمواتاً.

كما ظهرت فرق أخرى يطول الحديث بذكرها، الأمر الذي شوَّه جمال الإسلام، وأظهره على أنه دين طقوس وخرافة.

أسباب الافتراق:

وتعود أسباب الافتراق في الجملة إلى الجهل، واتباع الهوى، واتباع المتشابه من النصوص، والخوض في علم الكلام المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، والعمل بالأحاديث الضعيفة والروايات المكذوبة على رسول الله ﷺ.

الواجب إزاء هذا الافتراق:

إزاء هذا الافتراق المخيف، كان من الواجب التمسك بنصوص الكتاب والسنّة، والرجوع إلى منهج السلف الصالح المنقول في كتب السنن والآثار والعقائد المروية بالسند المتصل إلى السلف الصالح، وتصفية العلوم الإسلامية من المناهج الدخيلة، ونبذ التقليد الأعمى الذي تسبَّب بإغلاق باب الاجتهاد، وتقديم فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين للنصوص القرآنية والنبوية، لأنهم أعلم الناس بمضمون الرسالة ومدلولات النصوص.

وصف العلماء والدعاة إلى هذا المنهج:

ولما قامت طائفة من العلماء والدعاة، للدعوة إلى نبذ التفرق في المناهج، وترك الابتداع في الدين، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، وُصف هؤلاء العلماء بأنهم سلفيّون.

ولما التبست هذه التسمية أو النسبة إلى السلف، ـ بل المنهج السلفي ـ على كثير من الناس، فظنوه حزباً جديداً، أو مذهباً وليداً، كان من الواجب بيان المراد بالمنهج السلفي، والتعريف به، وذلك من خلال التعريف بالمصطلحات العلمية والألقاب المنهجية، مع بيان منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الموضوع يحتاج في تجليته وإيضاحه على وجه الكمال والتمام إلى صفحات لا يتسع لها هذا البحث، بل لا تتسع لها صفحات مجلة البحث العلمي، لذلك آثرت الاختصار قدر الإمكان، والله المسؤول أن ينفع به فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول:

التعريف بالاسم والمصطلحات العلمية.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: ألقاب ذات صلة (أهل الحديث ـ أهل السنة).

ـ المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: التعريف اللغوي: السلفية في اللغة مشتقة من كلمة سلف، ومعنى سلف في اللغة، الشيء إذا مضى.

قال في القاموس المحيط: « والشيء سَلَفاً ـ محرَّكة ـ: مضى، وفلان سلفاً وسلوفاً: تقدم، والسَّلَف محرّكة: السلم، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردُّه كما أخذه، وكل عملٍ صالحٍ قدمته، أو فرطٍ فرط لك، وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك.

وبالجمع: سلاّف وأسلاف، ومنه: عبد الرحمن بن عبد الله السلفي المحدِّث،

وآخرون منسوبون إلى السلف ».[١]

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

وفي الاصطلاح الشرعي فإن كلمة السلف يراد بها أصحاب القرون الثلاثة الخيرية ـ غير من رُمي ببدعةٍ ـ التي زكَّاها رسول الله ﷺ بقوله: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** ».[٢] وأصحاب القرون الثلاثة هم: الصحابة ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، وأتباع التابعين.

١ ـ **تعريف الصحابي**: والصحابي عند المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.[٣]

ويدخل في تعريف الصحابة ﷺ عند أهل السنة والجماعة: أهل البيت الذين لقوا النبي ﷺ ـ على التعريف السابق ـ .

وقد اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلاً نفيساً في ذلك فقال: « عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] وفي آيات كثيرة

---

[١] القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٠٦٠) مؤسسة الرسالة بيروت. وانظر أيضاً: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي (٢٠٣) دار اليمامة الطبعة الأولى.

[٢] رواه البخاري (٢٦٥٢) في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد. ومسلم (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ﷺ، ثم الذين يلونهم.

[٣] لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٢٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله ﷺ فيهم شيء ممّا ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين والإيمان واليقين، القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافّة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدَّلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ثم روى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا ذلك كله الصحابة ﷺ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ».[1]

٢ ـ **تعريف التابعي**: والتابعي هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه وروى عنه وإن لم يصحبه، وقد ذهب إلى القول الثاني: أبو عمرو بن الصلاح، والإمام النووي، وغيرهما.[2]

٣ ـ **تعريف أتباع التابعين**: واحدهم تابع التابعين، وهو من لقي التابعين وأخذ عنهم.

فالسلف إذن مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين المذكورين في حديث رسول الله ﷺ: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** ».[3]

على من يطلق لفظ السلف بالمصطلح العلمي المنهجي:

ولما كان السبب الذي أوجب تزكية السلف ومدحهم، منهجُهُم العلمي، وما كانوا عليه من التمسك بالسنّة والاجتماع عليها، صار كل من يتمسك بمنهجهم العلمي البارز والمنقول إلينا في كتب السنن والآثار والعقائد، يسمّى سلفياً بالمعنى العلمي

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٩ ـ ١٠).

[2] انظر: التقريب والتيسير للنووي (٩٤) دار الكتاب العربي ـ بيروت. ولمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٦٢).

[3] سبق تخريجه.

المنهجي، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم وجمعه بهم نفس المكان والزمان.[١]

حكم الانتساب إلى السلف الصالح:

إن الانتساب إلى السلف الصالح ﷺ، انتساب إلى الطائفة التي جعل الله إجماعهم حجة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً خياراً في كل الأمور لتنكير قوله: ﴿ وَسَطًا ﴾، كما رتَّب الله على مخالفتهم صلي جهنَّم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وقد دلَّ على حجية قولهم، قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فدلَّ على أن لهم قولاً متبوعاً.

وهذا بخلاف الانتساب إلى الأشخاص، أو العادات، أو الجماعات، أو الأحزاب، فإنه انتساب إلى من يخطئ ويصيب، وليس اتفاقهم حجة، والانتساب إلى من يخطئ خطأ، وإلى من جعل الشارع إجماعهم حجة ليس بخطأ.

بعضُ من أُطلق عليه لقب (سلفي) من أهل العلم:

وقد أُطلق لقب (السلفي) على بعض أهل العلم لالتزامهم بمنهج السلف الصالح، وتمييزهم عن غيرهم ممن خالف منهج السلف أو تلبّس ببدعة، ومن هؤلاء:

١ ـ **الإمام الحافظ محدّث إقليم فارس، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ابن جوان الفارسي الفَسَوي**، قال عنه الحافظ الذهبي: « وما علمت يعقوب الفَسَوي إلاّ سَلَفياً، وقد صنَّف كتاباً صغيراً في السنَّة ».[٢]

٢ ـ **الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المحدّث**، فقد علّق الذهبي على قول الدارقطني ـ ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام، فقال ـ أي الذهبي ـ : « لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام، ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً ».[٣]

---

[١] انظر: أهل السنة والجماعة (معالم الانطلاقة الكبرى)، جمع محمد عبد الهادي المصري (٥٢) دار طيبة ـ الرياض ١٩٨٨م.

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٨٣/١٣).

[٣] سير أعلام النبلاء (٤٥٧/١٦).

٣ ـ **الإمام الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة**، قال عنه الذهبي: « كان يعرف المذهب والعربية والعَروض، سلفياً، أثرياً ».[١]

٤ ـ **الشيخ مجد الدين عيسى ابن الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي**، فقد قال عنه الذهبي: « وكان ثقةً ثبتاً، ذكياً، سلفياً ».[٢]

٥ ـ **الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري**، قال عنه الذهبي: « كان ذا جلالةٍ عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة ».[٣]

٦ ـ **محمد بن القاسم بن سفيان المصري المالكي الفقيه**، فقد قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « كان رأس المالكية بمصر وأحفظهم للمذهب، مع المتقنين فنَّ التاريخ والأدب مع الدين والورع، وله أحكام القرآن، ومناقب مالك والرواة عنه، والمناسك، والواهي في الفقه، وغير ذلك، وكان سلفي المذهب ».[٤]

وبالجملة، فإن العلماء والأعلام حفَّاظ السنة والأثر، فقهاء الملة وناصرو السنّة سلفيّون في معتقدهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم كثير.

بل قال الذهبي عند كلامه على الشروط التي يحتاج إليها الحافظ: « فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً، ذكياً، نحوياً لغوياً، زكياً حيياً، سَلَفياً ».[٥]

المبحث الثاني: ألقاب ذات صلة:

أولاً: مدرسة أهل الحديث: والدعوة السلفية هي المدرسة الإصلاحية التي اشتُهرت بمدرسة أهل الحديث، لأنهم يعظمون حديث رسول ﷺ ويعنون به رواية ودراية، ويبذلون جهدهم في اتباع السنَّة واجتناب البدعة كما قال أبو عثمان الصابوني: « ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به

---

[١] نفس المصدر (٤٢٦/٢٠).

[٢] نفس المصدر (١١٨/٢٣).

[٣] نفس المصدر (١٤٢/٢٣).

[٤] لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣٤٨/٥).

[٥] سير أعلام النبلاء (٣٨٠/١٣).

متمسكين من الدين المتين والحق المبين ».[١]

سبب التسمية بأهل الحديث:

قال الشهرستاني في سبب تسميتهم بأهل الحديث: « وإنما سُمُّوا بأصحاب الحديث، لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً ».[٢]

أبرز علماء مدرسة أهل الحديث:

لقد آلت زعامة مدرسة أهل الحديث إلى الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وشعبة ابن الحجاج، وعبد الرحمن بن مهدي، والأوزاعي، والليث بن سعد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو زرعة الرازي، وابن جرير الطبري، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن قتيبة الدينوري.[٣]

أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله:

وقد توافرت أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله، فقد قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: « عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صواباً. وقال: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيراً، حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ».[٤]

ومن شعر الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المعنى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين[٥]

ومنهم الإمام أحمد رحمه الله، حيث أنشد يقول:

دين النبي محمدٍ آثار نعم المطية للفتى الأخبار

---

[١] عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (١١٤).

[٢] الملل والنحل للشهرستاني (٢٠٦/١).

[٣] انظر: الملل والنحل (٢٠٦/١) وعقيدة السلف أصحاب الحديث (١٢١ ــ ١٢٢) والمدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، د. عمر سليمان الأشقر (١٧ ـ ١٨).

[٤] البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (٢٥٤/١٠).

[٥] نفس المصدر.

لا تعدُ عن علم الحديث وأهله فـــالرأي ليـــل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى سبل الهدى والـــشمس طـــالعة لـها أنوار[١]

ومنهم الإمام مالك رحمه الله، حيث سأله رجل عن مسألة، فقال: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت ؟ ـ يريد رأي مالك ـ فقال مالك: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].[٢]

ثانياً: أهل السنة والجماعة:

وكما أطلق على السلف الصالح ومن سار على طريقتهم في العلم والعمل لقب أهل الحديث لتمسكهم بحديث رسول الله ﷺ والعمل به، فقد أُطلق عليهم أيضاً لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم تمسّكوا بالسنة واجتمعوا عليها في عصر ظهور الفرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: « **ألا إنَّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثِنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة** ».[٣] وفي رواية قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[٤]

تعريف لفظ السنة والجماعة:

السنة في اللغة: مشتقة من سنَّ يسنُّ سنّاً فهو مسنون. والسنة: الطريقة والسيرة محمودة كانت أم مذمومة، ومنه قوله ﷺ: « **لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع** » الحديث.[٥]

السنّة في الاصطلاح: يختلف تعريف السنة في الاصطلاح عند العلماء بحسب استعمال أهل الاختصاص لها، وسأوجز بيان ذلك بما يلي:

١ ـ **السنة في استعمال المحدثين**: هي كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقِية أو خُلُقِية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

٢ ـ **السنة في اصطلاح الأصوليين**: ـ والمراد بالأصوليين: علماء أصول الفقه ـ هي

---

[١] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (٥٥/١)، قال ابن القيم: أسانيد هذه الآثار في غاية الصحة.

[٢] شرح السنة للإمام البغوي (٢١٦/١).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] أخرجه البخاري (٣٤٥٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم (٢٦٦٩) في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

٣ ـ **السنة في اصطلاح الفقهاء**: ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض أو الواجب، وهي هنا بمعنى المستحب.[١]

٤ ـ **السنة في اصطلاح علماء العقيدة**: وتطلق السنة في اصطلاح علماء العقيدة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ اعتقاداً ومنهجاً، ويقابل السنة بهذا المعنى: البدعة. وفي الحديث: « **فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعةٍ وكل بدعةٍ ضلالة** ».[٢] ومنه قول الزهري رحمه الله: « الاعتصام بالسنة نجاة ».[٣]

إضافة السنة إلى لفظ (أهل):

فإذا أضيفت السنة إلى لفظ أهل، فيكون المراد: القوم المنتسبون إلى السنة، المتمسكون بها، المجتمعون عليها، ولذلك أطلق عليهم لقب: أهل السنة والجماعة.

ومنه قول الحسن البصري رحمه الله: « يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس ».[٤] وقول سفيان الثوري رحمه الله: « استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء ».[٥] ومنه قول أيوب السختياني رحمه الله: « إن من سعادة الحدث[٦]، والأعجمي، أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة ».[٧]

معنى الجماعة لغة: والجماعة في اللغة: العدد الكثير من الناس.

واصطلاحاً: وردت عدة أقوال في تفسير الجماعة.

---

[١] انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (٤٧ ـ ٤٨).

[٢] رواه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٤٦٠٧) في كتاب السنة، باب في لزوم السنة. وابن ماجه (٤٢) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

[٣] اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٢/١).

[٤] نفس المصدر (٦٣/١).

[٥] نفس المصدر (٧١/١).

[٦] أي: صغير السن.

[٧] اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦/١).

القول الأول: السواد الأعظم، وهذا التفسير ورد في بعض الروايات وهي ضعيفة، رواها ابن أبي عاصم في السنَّة[١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد.[٢]

القول الثاني: هم جماعة أهل العلم والأثر والحديث، كما قال الإمام أحمد رحمه الله عن الجماعة: « إن لم تكن أهل الحديث فلا أدري من هي ».[٣] وقال البخاري رحمه الله: « هم أهل العلم ».[٤]

القول الثالث: هم أصحاب رسول الله ﷺ، لقوله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية، من هم ؟ قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[٥]

خلاصة القول في المفهوم الشرعي لمعنى الجماعة: أن لفظ الجماعة يدور حول معانٍ متقاربة، تنتهي إلى أن الجماعة هم: أهل السنة والاتباع، وهم الفرقة الناجية، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى والعلم والفقه، ومن اقتدى بهم واتبع سبيلهم من المؤمنين إلى قيام الساعة.[٦]

سبب التسمية بأهل السنة: وسبب التسمية بأهل السنة ظهور البدع والأهواء، فميّز علماء السنة أهل السنة عن أهل البدعة والأهواء.

تاريخ ظهور التسمية بأهل السنة: وقد برز مصطلح أهل السنة في مطلع القرن الثاني عند ظهور البدع والأهواء. قال ابن سيرين رحمه الله: « لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ».[٧]

مستند هذه التسمية: ومستند هذه التسمية، أمر النبي ﷺ بالتمسك بالسنة،

---

[١] كتاب السنَّة لابن أبي عاصم رقم (٨٠) وضعفه الألباني رحمه الله تعالى.

[٢] شرح أصول الاعتقاد (١١٥/١) وفي سنده أبو غالب وهو ضعيف، وداود بن أبي سُلَيك. قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول.

[٣] الرسالة المستطرفة ص (١٦٥).

[٤] ذكره البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم.

[٥] سبق تخريجه.

[٦] للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل حفظه الله، رسالة ماتعة في مفهوم أهل السنة الجماعة موسومة باسم: (مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة)، مطبوعة بدار الوطن ـ الرياض ـ .

[٧] رواه مسلم في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب.

ولزوم الجماعة عند الافتراق، وذلك في قوله ﷺ: « **عليكم بسنتي** ».[١] وقوله: « **عليكم بالجماعة** ».[٢]

الفصل الثاني: المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة (في العقيدة).

تعريف العقيدة:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من مادة عَقَدَ، يقال في لغة العرب: عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: إذا شدَّه.[٣]

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.[٤]

والعقيدة الإسلامية اصطلاحاً: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين وما أجمع عليه السلف الصالح.[٥]

عقيدة السلف الصالح أصحاب الحديث:

لما كانت الغاية التي خلق الله لها الإنس والجنَّ عبادةَ الله تعالى وحده ونفي الشريك عنه، سمّي هذا الدين دينَ التوحيد. فالتوحيد « أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه تكفَّر الذنوب وتستوجب الجنة، وينجى من النار ».[٦]

اهتمام المدرسة السلفية بالتوحيد:

لذلك فقد اهتم السلف الصالح بقضية التوحيد أكثر من اهتمامهم بأي قضيةٍ أخرى، وعلى هذا كان مدار القرآن المكي حين كان ينزل على رسول الله ﷺ في العهد الأول للإسلام، يثبت هذه الحقيقة في نفوس الصحابة ﷺ، وينزع من صدورهم كل قضية أو فهم أو اعتقاد يتصل بالشرك.

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٣] القاموس المحيط (٣٨٣). ومختار الصحاح (٢٨٨).

[٤] المعجم الوسيط (٦١٤) جماعة من المؤلفين: أحمد الزيات ـ إبراهيم مصطفى ـ حامد عبد القادر ـ محمد علي النجار.

[٥] الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (٢٤) طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض.

[٦] حاشية ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي (٢٣).

وهذه هي العقيدة السلفية، إفراد الله بالعبادة، وسد الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك الذي سمّاه الله ظلماً، ولذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال عبد الله بن مسعود ﷺ: شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه ؟ قال: « **ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ ».[١]

قال البغوي رحمه الله: « سمّي الشرك ظلماً لأن أصل الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك فقد وضع الربوبية في غير موضعها، وهو أعظم الظلم ».[٢]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: « من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحثِّ على الإنابة إلى الله وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ورهبةً، ـ إلى أن قال ـ ونهى عن أقوال وأفعال يُخشى أن يُتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حمايةً للتوحيد ».[٣]

والمدرسة السلفية تعتبر التوحيد الهدف الأسمى الذي أُرسلت لتحقيقه الرسل، وأُنزلت به الكتب، فهو الغاية من الوجود لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو حق الله على العبيد، لحديث معاذ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟** ». قال: الله ورسوله أعلم، قال: « **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حقهم عليه ؟** ». قال: الله ورسوله أعلم. قال: « **أن لا يعذبهم** ».[٤]

ولما كان التوحيد هو الغاية الذي خُلقت له البشرية، وهو حق الله على العباد،

---

[١] رواه البخاري (٣٤٢٩) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ﴾. ومسلم (١٢٤) في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

[٢] شرح السنة للبغوي (٨٠/١).

[٣] القول السديد في مقاصد التوحيد (٧٥ ـ ٧٦) طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

[٤] رواه البخاري (٧٣٧٣) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (٣٠) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

كانت الرسل تبعث ابتداءً بالدعوة إليه، ثم الشرائع بعد ذلك مبنيةً عليه، فمن استجاب للتوحيد وتخلَّص من الشرك وشوائبه، عندئذ يخاطب بالتكاليف، وقد أجمع العلماء على أن أول شرط من شرائط وجوب العبادات، الإسلام، والذي لا يكون موحداً لا يكون مسلماً، فالتكاليف الشرعية مع وجود التوحيد تكون مقبولة، وبدون التوحيد مردودة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: « **إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...** » الحديث.[1]

فأمره أن يدعوهم أولاً إلى التوحيد وتصحيح العقيدة، فإن هم أطاعوا لذلك، عندها أمره بمطالبتهم بتكاليف الإسلام التي لا تقوم ولا تقبل قبل تصحيح العقيدة.

النبي ﷺ يهتم بالتوحيد قبل التجمع وأخذ الولاء:

ويزداد الأمر وضوحاً بمنهج النبي ﷺ واهتمامه بالتوحيد والاعتقاد قبل التجمع وأخذ الولاء، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعةً وتركت هذا، قال: « **إن عليه تميمة** ». فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: « **من علَّق تميمةً فقد أشرك** ».[2]

التوحيد أول دعوة الرسل:

والتوحيد أول دعوة الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون: ٢٣] وقال عن هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود: ٥٠] وقال عن صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود: ٦١] وقال عن

---

[1] رواه البخاري (٧٣٧٢) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (١٩) في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

[2] رواه أحمد (١٥٦/٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٢).

شعيب عليه السلام: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود: ٨٤] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١] وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وبالجملة، فإن الله تعالى قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

من صور اهتمام الصحابة ﷺ بالتوحيد:

ومن صور اهتمام الصحابة ﷺ بالتوحيد، ما جاء عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجةٍ فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منّا على شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطاً، قال: ما هذا الخيط ؟ قالت: قلت: خيط أُرقيَ لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الرقى والتمائم والتِولة شرك** ». قالت: فقلت له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت، قال: إنما كان ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيها كفّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ: « **أذهب البأس رب الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً** ».[1]

من صور اهتمام أهل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد:

ومن صور اهتمام أهل البيت بالتوحيد ما رواه ابن أبي شيبة[2] عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن

---

[1] رواه أحمد (٣٨١/١). وابن ماجه (٣٥٣٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١).

[2] في المصنف (٢٦٨/٢) دار الفكر ـ بيروت.

رسول الله ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بُيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم** ».[١]

التوحيد الذي جاءت به الرسل:

والتوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الله بالعبادة، فلا معبود بحق إلا الله، وعندما نقول إفراده بالعبادة، لا نعني بذلك الصلاة والزكاة والصوم فحسب، بل كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من أقوال وأفعال. فالدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال رسول الله ﷺ: « **الدعاء هو العبادة** ».[٢] والنذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. والذبح عبادة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]. وفي الحديث: « **لعن الله من ذبح لغير الله** ».[٣]

والاستغاثة عبادة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]. وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]. والاستعانة عبادة لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. ولحديث رسول الله ﷺ: « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** ».[٤] والحلف عبادة لقوله ﷺ: « **من حلف بغير الله فقد أشرك** ».[٥]

---

[١] ورواه أبو داود (٢١٤٢) عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: « **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** ». صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٢] رواه أحمد (٢٦٧/٤) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

[٣] رواه مسلم (١٩٧٨) في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله.

[٤] رواه أحمد (٢٩٣/١ و ٣٠٣ و ٣٠٧) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

[٥] رواه أحمد (٣٤/٢ و ٨٦) وأبو داود (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فكل هذه الأمور وغيرها (من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه، وسائر الأذكار المشروعة، ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والمحبة في الله والبغض فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة).[1]

والعبادة إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] وقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، وهو الاعتقاد أن الله تعالى خالق العباد ورازقهم، محييهم ومميتهم، وهو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، ويعز ويذل، وهو المتصرف في هذا الكون كيف يشاء سبحانه، لا شريك له في ذلك كله، ومنها الإيمان بأنَّ لله وحده حق التشريع، قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾ [يوسف: ٤٠]. فالتشريع حق للرب جلَّ وعلا، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصبغة ما شرعه الرب جلّ جلاله.

توحيد الأسماء والصفات:

هو الاعتقاد بأن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق به، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وأسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن نطلق على الله تعالى اسماً لم يسمِّ به نفسه ولم يسمِّه به رسوله ﷺ، كأن يقول القائل: (إن الله هو الصانع) فيجعله اسماً له، أو (هو المهندس الذي هندس هذا الكون) فهذا وأمثاله لا يجوز لأن أسماء الله تعالى كما ذكرنا توقيفية تُستمد من الكتاب والسنة، ولأن الله تعالى أعلم بنفسه، ولأن رسوله ﷺ أعلم به منَّا.

---

[1] معارج القبول للحافظ الحكمي (١/٤١٥ ـ ٤١٦).

إذن فأسماء الله تعالى توقيفية على ما جاء في الكتاب والسنة، وأسماء الله تعالى كلها حسنى، بالغة في الحسن، وهي غير محصورة بعدد معين لقول رسول الله ﷺ: « **أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك** ».[1] وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يطَّلع عليه أحد، وهذا لا ينافي الحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة** ».[2] فالمقصود أن الله تعالى قد أطلعنا على تسعة وتسعين اسماً لندعوه بها ونعبده بها، وليس المراد حصر الأسماء بهذا العدد.

وأما صفات الله تعالى فهي صفات تليق بجلاله وعظمته، وهي صفات كمال ومدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه. وهي صفات عليا، وصف الله بها نفسه في كتابه الكريم، ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته الشريفة، ونحن نؤمن بهذه الصفات كما آمن بها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، فنثبت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننزهه عمَّا نزَّه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ ردٌّ على الممثلة والمشبهة. وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على النفاة المعطلة.

والأصل في هذا الباب، أنّ كل ما ثبت في الكتاب والسنَّة وجب الإيمان به والتصديق، وإن خالف العقل، لأن العقل مخلوق، والمخلوق محدود، والمحدود ناقص، والناقص لا يدرك حقيقة الخالق الكامل. فكيف بإدراك صفاته ؟

قال نعيم بن حمَّاد رحمه الله: « من شبَّه الله بخلقه فقد كفر،ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهاً ».[3]

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١/٣٩١).

[2] أخرجه البخاري (٢٧٣٦) في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار. ومسلم (٢٦٧٧) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

[3] رواه عنه الذهبي في العلو (١٨٤) مختصره للألباني، وسنده صحيح.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: « لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردَّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ».[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فمن قال ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى، كان معطلاً جاحداً ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي، وقوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي، أو يدان كيداي، أو استواء كاستوائي، كان مشبّهاً ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بدّ من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ».[٢]

قال الترمذي[٣] **رحمه الله**: وقد قال غير واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يُتوهم، ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عُيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية[٤] فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، وقالوا[٥]: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إنَّ معنى اليد هاهنا القوة.[٦] وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً

---

[١] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٠٧/١٣). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧٩/١٠).

[٢] الرسالة التدمرية (٢٠) ابن تيمية.

[٣] في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة. تعليقاً على حديث: « **إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه..** ». انظر حديث (٦٦١ و ٦٦٢) مكتبة المعارف ـ الرياض ـ.

[٤] نسبة إلى جهم بن صفوان.

[٥] أي الجهمية.

[٦] وبهذا تأولته الأشاعرة.

وهو كما قال الله وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. ا هـ .

وقال الشيخ الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني[1] رحمه الله: إن أصحاب الحديث متمسكين بالكتاب والسنة، حفظ الله أحياءَهم، ورحم الله أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهِد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّ من قائل: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ووردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد.[2]

شبهة والجواب عنها:

وقد أورد بعضهم شبهة وهي: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ألوهية وربوبية وأسماء وصفات، تقسيم حادث جاء به ابن تيمية رحمه الله.

والجواب:

١ ـ ليس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أول من قسَّم التوحيد، بل ذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره الألوهية والربوبية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

[1] المولود عام ٣٧٣ هـ والمتوفى عام ٤٤٩ هـ.

[2] عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦) مكتبة الغرباء ـ المدينة المنورة ـ.

﴿ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]. قال: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية.[١] وهذا تقسيم للتوحيد إلى ألوهية وربوبية تضمنتهما الآية.

٢ ـ إن هذا التقسيم استقرائي دلّ عليه التتبع والاستقراء لآيات وأحاديث التوحيد، وقد اقتضاه حاجة التعليم وتسهيل دراسة العقيدة، كما قسَّم العلماء العلوم إلى ما يتعلق بالفقه والأصول والمصطلح، وذلك لحاجة التعليم، ولم تكن في الصدر الأول للإسلام مقسَّمة بهذا التقسيم، ولا مشاحة في ذلك.

قال الشنقيطي رحمه الله: وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ثم ذكرها: توحيده في ربوبيته، وعبادته، وأسمائه وصفاته.[٢]

من أسباب مخالفة الخلف لمنهج السلف في الأسماء والصفات:

١ ـ **تقديم العقل على النقل**: فقد أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا النصوص تابعة للعقول، فما وافق عقلهم قبلوه، وما لم يوافقه ردّوه. بل لا نبعد إذا قلنا: إن المؤولة عبدوا رباً هم وصفوه، فأثبتوا بعض الصفات التي لا يمكن أن يُنزَّه عنها الإله، وما يمكن أن ينزّه عنه ويخلّى منه في عقولهم ردّوه وحرّفوه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أنهم يلزمهم فيما أثبتوه ما فرُّوا منه لأن الكلام على بعض الصفات كالكلام على البعض الآخر، ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض قانون مستقيم، فإذا قيل لهم: لِمَ تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد، لم يكن لهم جواب صحيح، اللهم إلا مظنة التشبيه في الذي أوّلوه، وعدمه في الذي أثبتوه.[٣]

قال السيوطي رحمه الله: « اعلم أنَّ فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين مبنياً على المعقول

---

[١] تفسير الطبري، الآية (٣) من سورة يونس.

[٢] راجع أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٣/٣٧٣ ـ ٣٧٦).

[٣] انظر في ذلك الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد ردَّ فيها على الأشاعرة وبيّن تناقض مذهبهم.

لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء ».[١]

وقال: ثم نقول لهذا القائل (بني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه):

أخبرنا إذا أتاك أمر من الله تعالى يخالف عقلك فبأيهما تأخذ ؟ بالذي تعقل أو بالذي تؤمر ؟ فإن قال: بالذي أعقل، فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله. وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستلاماً، وهـذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم.[٢]

٢ ـ **الخوض في علم الكلام** المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، فمن هؤلاء العلماء:

أ ـ **الإمام أبو حنيفة رحمه الله**: فقد سئل: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.[٣]

ب ـ **الإمام مالك رحمه الله**: قال: « قُبض رسول الله ﷺ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ ولا يتبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجل أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته، أرى هـذا لا يتم ».[٤]

ج ـ **الإمام الشافعي رحمه الله**: قال: « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ».[٥]

---

[١] صون المنطق والكلام للسيوطي (٢٣٥/١) المكتبة العصرية ـ صيدا ـ .

[٢] نفس المصدر (٢٣٦/١).

[٣] صون المنطق والكلام للسيوطي (٦٦/١).

[٤] إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني (١٨).

[٥] سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩/١٠) مؤسسة الرسالة بيروت.

وقال أيضاً: « حكمي في أهل الكلام، حكم عمر ﷺ في صبيغ ».[١]

وقال أيضاً: « مذهبي في أهل الكلام تقميع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد ».[٢]

وعن أبي ثور والربيع قالا: سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.[٣]

د ـ **الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**: قال: « أئمة الكلام زنادقة ».[٤]

وقال: « لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السنة ».[٥]

ذكر بعض علماء الكلام الذين تراجعوا عن مذهبهم:

وقد تراجع غير واحد من أئمة علم الكلام الذين أفنوا أعمارهم في تحصيل مذهب الخلف وتقويته والدفاع عنه، قد انتابتهم الحيرة في نهاية المطاف، فلم يسعهم إلا أن يُعلنوا على رؤوس الأشهاد وفي مؤلفاتهم الرجوع عن مذهبهم، والتحذير منه، والحث على التمسك بمذهب السلف في الصفات والأخذ به، فإنه الأحكم والأعلم والأسلم.

١ ـ **أولهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله** الذي كان معتزلياً تلميذ الجبائي رئيس المعتزلة بالبصرة، واستمر في الدراسة حتى بلغ في الاعتزال مبلغاً خطيراً، حتى صار لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر بالبصرة بعد الجمعة، وأشهد الناس أنه تائب مما كان فيه من القول بالاعتزال[٦]، فصار إلى عقيدة ابن كلاب البصري فترة من الزمن[٧]، ثم تراجع عنها إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله: فإنه كان تلميذ

---

[١] ذم الكلام وأهله للهروي (٨/٤) مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة. وانظر ضرب عمر ﷺ لصبيغ بن عسل المتكلم في نفس المصدر.

[٢] صون المنطق للسيوطي (٦٦/١).

[٣] سير أعلام النبلاء (٢٧/١٠).

[٤] صون المنطق للسيوطي (٢٠١/١).

[٥] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (١٥٦).

[٦] انظر ما نقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (٣٩ ـ ٤٠) دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٤م.

[٧] انظر: جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين للآلوسي (٢٢١) المكتبة العصرية ـ صيدا، والفتاوى لابن تيمية (١٠٣/٣) و(٥٥٦/٥).

الجبائي، ومـال إلـى طـريقة ابن كلاب البصري، وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لمـا قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم.[١]

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة الحافظ زكريا الساجي رحمه الله: كان من أئمة الحديث، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف.[٢]

وقد ألّف بذلك كتاب الإبانة[٣]، وقد نص عـلى ذلك ابـن عساكر في تبيين كذب المفتري، حيث قال: فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لـيعلم حـقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سمّاه الإبانة، فإنه قال:

« الحمد لله الأحد الواحد... » إلى أن قال: « فإن قال قائلٌ قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة ﷺ والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كـان عـليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون .... ».[٤] إلى أن قال في بيان معتقده في الصفات: « وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يداً كما قال: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عيناً بلا كيف

---

[١] الفتاوى (٣/٢٢٨).

[٢] سير أعلام النبلاء (١٤/١٩٨).

[٣] قال الحافظ الذهبي في السير (١٥/٩٠): إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول: رددت على الجبّائي، رددت على المجوس، رددت على النصارى، فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد، فخرج وصنَّف الإبانة.

[٤] وذكر كلاماً في مدح الإمام أحمد رحمه الله، وقد حذفته اختصاراً.

كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وذكر سائر عقيدته ».[١]

ومما يبين رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري إلى مذهب أهل الحديث وما كان عليه الإمام أحمد رحمه الله، ما ذكره في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، حيث ذكر جملة قول أهل الحديث والسنة في الاعتقاد، ثم ختم بقوله: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب.[٢]

٢ ـ **ومنهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني** رحمه الله، في الرسالة النظامية وهي من أواخر ما ألف، حيث قال: « والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوَّغاً أو محتوماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة ﷺ والتابعين عن الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتّبع ».[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وهذا إمام الحرمين، ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن: إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ـ أو قال ـ : عقيدة عجائز نيسابور ».[٤]

٣ ـ **ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني**[٥]، أخبر أنه لم يجد عند المتكلمين والفلاسفة إلا الحيرة والندم، وأنشد يقول:

والله لقد طفت المعاهد كلها ... وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم

---

[١] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (١٥٢ و ١٥٧ و ١٥٨).

[٢] انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن (٢٩٠ ـ ٢٩٧) عند حكايته قول أهل الحديث. طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ـ (ط) ثالثة.

[٣] انظر فتح الباري (٤٠٧/١٣).

[٤] مجموع الفتاوى (٧٣/٤).

[٥] المتوفى عام ٥٤٨ هـ.

فلـم أرَ إلا واضعاً كـف حائرٍ على ذقنٍ أو قــارعاً سن نادم[١]

٤ ـ **ومنهم الإمام فخر الدين الرازي**[٢]، فقد جاء في طبقات الشافعية: قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين: أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى.[٣]

وقال في كتابه (أقسام اللذات): « لقــد اختبرت الطــرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن: أقرأ في التنزيه: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]. وأقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ أن الكلَّ من الله، قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨]، ثم قال: وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه، وأنشد يقول:

نهــاية إقــدام العقــول عقــال وأكــثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جــسومنا وحــاصل دنيانــا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا ».[٤]

الفصل الثالث: المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة (في العبادة)

تمهيد: من المتقرر المعلوم من منهج السلف الصالح في العبادة: أن العبادة لا تكون صحيحةً صواباً إلا إذا كانت خالصةً لوجه الله تعالى، وأن تكون موافقةً لسنة رسول الله ﷺ.

ولا تكون العبادة كذلك إلا إذا كانت مبنيةً على العلم، إذ هي بغير ذلك تبنى

---

[١] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٧٣).

[٢] المتوفى عام ٦٠٦ هـ.

[٣] طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/٨٢).

[٤] انظر: مجموع الفتاوى (٤/٧٣) و (٥/١٠ ـ ١١).

على الجهل، والجهل يؤدي بصاحبه إلى البدعة، ثم إلى المعصية، والمعاصي بريد الكفر.

والعلم كما عرَّفه ابن القيم رحمه الله: « معرفة الحق بدليله ».[١] وهذا هو العلم النافع الذي يؤدي بصاحبه إلى الجنة، ولا سبيل إلى اقتباسه « إلا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرَّحت الكتب السماوية بوجوب طاعته، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ».[٢] وهو العلم الذي اقتبسه الصحابة ﷺ، وسار عليه التابعون، وسلك على آثارهم أتباعهم، ثم الأئمة من بعدهم، حيث (كان دين الله سبحانه، أجلَّ في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً أو معقولاً، أو تقليداً، أو قياساً، فصار لهم الثناء الحسن في العالمين، وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين، ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم، زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأُخذته طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول ﷺ إلى أمرٍ انتدبوا إليه، ولا يسألونه عمّا قال برهاناً، ونصوصه أجلُّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدّموا عليها قول أحد من الناس، أو يعارضوها برأي أو قياس، ثم خلف من بعدهم خلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أقوالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ».[٣]

المبحث الأول: في تلقي العلوم الشرعية:

ولما كانت المدرسة السلفية تدعو إلى التمسك بما كان عليه سلف الأمة، كان من الطبيعي أن يسلكوا سبيل خير القرون في تلقيهم للعلوم والأحكام الشرعية العملية، مترفعين عن التقليد، غير مدَّعين الاجتهاد، ـ كما يفتري عليهم المعاندون من المتعصبين ـ وإنما واقفون مع الحق والدليل حيث كان، غير مبالين إذا كان الدليل الصحيح مع زيد

---

[١] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (٧/١) دار الجيل.

[٢] نفس المصدر (٥/١).

[٣] إعلام الموقعين لابن القيم (٦/١ ـ ٧).

أو عمرو، إذ لم نؤمر بالتعصب لأقوال الرجال، وإنما للحق حيث كان، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

العلماء بشر يخطئون ويصيبون:

على أننا نعتقد أن العلماء والمجتهدين بشر، يخطئون ويصيبون، وهم مأجورون في جميع الأحوال ما داموا مجتهدين، كما قال رسول الله ﷺ: « **إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** ».[١]

تنبيه: ولا يُفهم من كلامنا أننا نطالب العامة بالرجوع إلى الكتاب والسنة بمعنى: أن يستنبط كل إنسان الحكم الشرعي من الكتاب والسنة بنفسه وما يؤديه إليه اجتهاده، فليس الأمر كذلك، وإنما دعوتنا للعودة إلى الكتاب والسنة بمعنى أن لا نعبد الله ﷻ إلا بدليل منهما بفهم السلف الصالح لهما، لا أن نعبده بالرأي، والإصرار على قول الغير بلا دليل، في حين وجود الدليل الصحيح في المسألة.

أهل الحديث لا ينكرون الرأي والقياس الصحيح:

ومع تمسك أهل الحديث بالنص والإجماع، فإنهم لا ينكرون العمل بالرأي والقياس الصحيح، وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة (باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصلٍ مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل). وأخرج فيه حديث أبي هريرة ﷺ: أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: « **هل لك من إبل ؟** ». قال: نعم. قال: « **فما ألوانها ؟** ». قال: حمر. قال: « **هل فيها من أورق ؟** ». قال: إن فيها لورقاً. قال: « **فأنَّى ترى ذلك جاءها ؟** ». قال: يا رسول الله عِرق نزعها، قال: « **ولعل هذا عِرق نزعه ؟** ». ولم يرخص له في الانتفاء منه.[٢]

قال ابن بطال رحمه الله: « التشبيه والتمثيل هو القياس عند العرب ».[٣]

---

[١] رواه البخاري (٧٣٥٢) في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. ومسلم (١٧١٦) في الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد.

[٢] رواه البخاري (٧٣١٤) في كتاب الاعتصام، باب من شبّه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل. ومسلم (١٥٠٠) في كتاب اللعان.

[٣] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٣١٠).

الرأي والقياس الذي ينكره أهل الحديث:

فالذي ينكره أهل الحديث، هو الرأي والقياس الذي يُرَدُّ به النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع الثابت، أما ردُّ الفرع إلى أصل محكوم عليه في الشريعة لعلة جامعة مناسبة للحكم عند فقد النص والإجماع أو قول الصحابي الذي لم يخالف فهذا لا ينكرونه كما ذكر ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين في بيان أقسام الرأي فقال: « الرأي ثلاثة أقسام: رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح، ورأي هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به، وسوَّغوا القول به، وذمُّوا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله. والقسم الثالث سوَّغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه، حيث لا يوجد منه بدّ، ولم يُلزموا أحداً العمل به، ولم يُحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفه مخالفاً للدين، بل غايته أنهم خيَّروا بين قبوله وردّه، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه، كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس فقال لي: عند الضرورة ».

وقد عدّ ابن القيم رحمه الله، أنواع الرأي الباطل فجعلها أربعة:

أحدها: الرأي المخالف للنص.

الثاني: الكلام في الدين بالخرص والظن مع التقصير والتفريط في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها.

الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم.

ثم قال ابن القيم رحمه الله: « وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه، إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتمَّ فساد.

الرابع: الرأي الذي أُحدثت به البدع، وغيرت به السنن ».[1]

---

[1] إعلام الموقعين (١/٦٧ ـ ٦٩) بتصرف.

نماذج من تلقي السلف للأحكام وتقديمهم النص على الرأي:

١ ـ **قال ابن عباس رضي الله عنهما** في قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١] يقول: « لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ».[١]

وقال أيضاً: « أما تخافون أن تُعذبوا أو يُخسف بكم أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ وقال فلان ».[٢]

٢ ـ **وقال سفيان الثوري رحمه الله**: « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ بقول ولا فعل ».[٣]

قال القاضي ابن العربي رحمه الله: « قوله: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ، وإيجاب اتباعه والاقتداء به ».[٤]

٣ ـ روى أبو هريرة رضي الله عنه حديث الوضوء ممَّا مست النار، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أبا هريرة: أنتوضأ من الدهن ؟ أنتوضأ من الحميم ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا ابن أخي، إذا سمعت حديثاً عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له مثلاً.[٥]

وفي هذه الحادثة من الفوائد:

أ ـ أن الأصل في الأوامر والنواهي التعبد، ولا يشترط العلم بالحكمة ليبادر إلى الامتثال.

ب ـ أن النص متى ما صحّ وجب تقديمه على القياس.[٦]

٤ ـ عن ابن شهاب أن سالم بن **عبد الله بن عمر رضي الله عنهما** حدّثه أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هي حلال. فقال الشامي: إنّ أباك قد نهى عنها. فقال عبد الله: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، أمرُ أبي يتبع

---

[١] تفسير الطبري (٧٤/٢٦) دار المعرفة ـ بيروت.

[٢] شرح السنة للبغوي (٢١٤/١) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

[٣] تفسير ابن كثير (٢٢٠/٤) دار المعرفة ـ بيروت.

[٤] أحكام القرآن لابن العربي (١٤٥/٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت.

[٥] جامع الترمذي، حديث رقم (٧٩). والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٣٨٤/١) دار ابن الجوزي.

[٦] انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٨) طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت.

أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ.[١]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن من تبين له النص وجب المصير إليه، وأن النصوص لا تُعارض بأقوال الرجال.

ب ـ أن ترك أقوال العلماء المخالفة للنص لا يعتبر قدحاً بهم أو انتقاصاً لمنزلتهم.[٢]

٥ ـ **عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **الحياء لا يأتي إلا بخير** ». فقال بُشيرُ بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة. فقال له عمران: أحدثك عن رسول ﷺ وتحدثني عن صحيفتك ؟.[٣]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن الحكم إذا ثبت بالسنّة، لا نحتاج إلى التدليل عليه بما هو دونها.

ب ـ أن من احتج بقول رسول الله ﷺ الصحيح الثابت عنه، السالم من المعارِض والناسخ، لا يجوز الاحتجاج عليه بقول مجتهد.

ج ـ وجوب التلقي من السنة النبوية، وترك الاعتماد على كتب الرأي.[٤]

تعظيم الأئمة الأربعة للسنن ونهيهم عن تقليدهم:

وأما الأئمة الأربعة رحمهم الله، فإنَّ كلاً منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله ﷺ، وهذا من فقههم رحمهم الله تعالى، ووعيهم لهذه المسألة، ومن عظيم حبّهم لله ورسوله ﷺ، فمنعوا الناس عن تقليدهم لا سيّما عند مخالفتها لصريح السنة. وسأذكر من أقوالهم ما يبيّن ذلك:

أولاً: الإمام أبو حنيفة رحمه الله: فإنه سئل: إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ، فقيل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال:

---

[١] رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في التمتع. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٦٥٨).

[٢] انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٦).

[٣] تابعي جليل، انظر: الفتح (٥٣٨/١٠).

[٤] انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٣١).

اتركوا قولي لقول الصحابة ﷺ.[١]

وقال أيضاً: « لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ».[٢]

وقال أيضاً: « إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي ».[٣]

ثانياً: الإمام مالك رحمه الله: فإنه قال: « أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق فاتركوه ». وقال عند موته: « وددت أني ضُربت بكل مسألةٍ تكلمت فيها برأيي سوطاً، على أنه لا صبر لي على السياط ».[٤]

وقال أيضاً: « كلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ ».[٥]

ثالثاً: الإمام الشافعي رحمه الله: فإنه قال: « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس ».[٦]

وقال: « ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ، وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي ».[٧]

وقال: « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلت ».[٨] وروى المزني عن الشافعي في أول مختصره: أنه لم يزل ـ أي الشافعي ـ ينهى عن تقليده وتقليد غيره.[٩]

رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: قال: « لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا

---

[١] إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٤٢) الدار السلفية ـ الكويت. وإيقاظ همم أولي الأبصار للشيخ صالح الفُلاّني (٥٠) دار المعرفة ـ بيروت.

[٢] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٣٠٩/٢). وإيقاظ الهمم (٥٣).

[٣] حاشية ابن عابدين (٦٣/١).

[٤] إرشاد الفحول للشوكاني (٢٢٨) وسير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٠).

[٥] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٩٣/٨).

[٦] إعلام الموقعين لابن القيم (٧/١) و (٣٦١/٢). وإيقاظ الهمم للفلاني (٥٨).

[٧] إعلام الموقعين لابن القيم (٣٦٣/٢ ـ ٣٦٤). وإيقاظ الهمم (١٠٠).

[٨] مختصر المؤمّل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٥٧) تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد. والمجموع شرح المهذب للنووي (٦٣/١).

[٩] مختصر المزني (١).

الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا ».[١]

وقال: « رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة، كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار ».[٢]

أتباع الأئمة يتركون مذهبهم عند مخالفتها للسنة:

وكذلك العلماء ممن نُسبوا إلى الأئمة فإنهم كانوا يتركون قول الإمام عند مخالفته للنص، فمن أولئك:

١ ـ **زُفر رحمه الله**: فقد ذكر أبو عبيد بسند صحيح عن زفر رحمه الله أنه رجع عن قول أصحابه، فأسند عبد الواحد بن زياد قال: قلت لزفر: إنكم تقولون: تدرأ الحدود بالشبهات، فجئتم إلى أعظم الشبهات فأقدمتم عليها، المسلم يُقتل بالكافر !! قال: فاشهد عليّ أني رجعت عن هذا.[٣]

٢ ـ **الإمام القرطبي رحمه الله**: فإنه قال تعليقاً على مذهب مالك في جعله البر والشعير صنفاً واحداً [٤]:« وإذا ثبتت السنة فلا قول معها ».[٥]

٣ ـ **الإمام البغوي رحمه**، فقد قال تعليقاً على حديث : « **نهى النبي ﷺ عن عسب الفحل** ».[٦] قال: وقد ذهب إلى تحريمه أكثر الصحابة ﷺ والفقهاء، ورخّص فيه الحسن وابن سيرين وعطاء، وهو قول مالك، قال: لأنه من باب المصلحة، ولو مُنع منه لانقطع النسل، وهو كالاستئجار للإرضاع وتأبير النخل.[٧] ثم قال البغوي رحمه الله: « وما نهت عنه السنة فلا يجوز المصير إليه بطريق القياس ».[٨]

٤ ـ **الإمام النووي رحمه الله**، فإنه ذكر قول الإمام مالك في الموطأ، فقال: « قال مالك: لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يُقتدى، نهى عن صيام يوم

---

[١] إعلام الموقعين (٣٠٢/٢). وإيقاظ الهمم (١١٣). ومختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول (٦١).

[٢] جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٤٩/٢).

[٣] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢٦٢/١٢).

[٤] أي في البيوع الربوية، فقد نصت السنّة على أنهما صنفان من حديث عبادة ﷺ، وفيه: « **..والبر بالبر، والشعير بالشعير..** ». الحديث رواه مسلم.

[٥] تفسير القرطبي (٢٢٦/٣) عند تفسير الآيات (٢٧٥ ـ ٢٧٩) من سورة البقرة.

[٦] راوه البخاري (٢٢٨٤) في كتاب الإمارة، باب عسب الفحل. وعسب الفحل: هو أجرة ضراب مائه في الأنثى.

[٧] راجع إجابتنا عن هذا القياس في كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ص (٦٦ ـ ٦٧).

[٨] شرح السنة للبغوي (١٣٨/٨ ـ ١٣٩).

الجمعة، وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه، وأراه كان يتحراه ».[١]

قال النووي رحمه الله: فهذا الذي قاله هو الذي رآه، وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو، ثم قال: والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره.[٢]

وقال النووي رحمه الله في تعليقه على قول الشافعي رحمه الله: « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي ». قال: وممن حكي عنه أنه أفتى بالحديث من أصحابنا: أبو يعقوب البويطي، وأبو القاسم الداركي، وممن نص عليه أبو الحسن الكيا الطبري في كتابه في أصول الفقه، وممن استعمله من أصحابنا من المحدثين: الإمام أبو بكر البيهقي وآخرون، وكان جماعة من متقدمي أصحابنا إذا رأوا مسألة فيها حديث، ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين: مذهب الشافعي ما وافق الحديث.

ثم قال النووي: قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله: « فمن وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه نُظر، إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً، أو في ذلك الباب، أو المسألة، كان له الاستقلال بالعمل به، **وإن لم يكمل وشقّ عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنه جواباً شافياً، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي، ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا** ». ثم قال النووي: « وهذا الذي قاله حسن متعيّن ».[٣]

بدعة التعصب المذهبي:

إن تقليد إمام بعينه وعدم الخروج عنه، لم يكن في زمن السلف الصالح، وإنما حدث التعصب في القرن الرابع، قال الإمام ابن القيم رحمه الله ـ بعد ذكره القرون الثلاثة الخيرية ـ : « ثم خلف من بعدهم خُلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا

---

[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم** ». رواه مسلم. وعنه مرفوعاً: « **لا يصومنَّ أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده** ». متفق عليه.

[٢] شرح مسلم للنووي (١٩/٨).

[٣] المجموع شرح المهذب للنووي (٦٤/١).

بـمحـض التقلـيد وقـالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ».[١]

وقال ابن حزم: « ثم ابتدأت هذه البدعة من حيث ذكرنا في العصر الرابع في القرن المذموم، ثم لم تزل تزيد حتى عمَّت بعد المائتين من الهجرة عموماً طبق الأرض، إلا من عصم الله ﷻ، وتمسك بالأمر الأول الذي كان عليه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلا خلاف من أحد منهم ».[٢]

وقال أبو شامة المقدسي رحمه الله: « ثم اشتهرت المذاهب الأربعة وهُجر غيرها، فقصرت همم أتباعهم إلا قليلاً، فقلّدوا بعدما كان التقليد لغير الرسل حراماً، بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الأصلَيْن، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ». ثم قال: « حتى آل بهم التعصب إلى أن أحدهم إذا أُورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه [٣]، يجتهد في دفعه بكل سبيل من التآويل البعيدة نصرةً لمذهبه، ولو وصل ذلك إلى إمامه الذي يقلده لقابله ذلك الإمام بالتعظيم وتبرَّأ من رأيه ».[٤]

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله: « وهذا معلوم بالضرورة أنه لم يكن في الصحابة ﷺ، ولا في تابعيهم، ولا تابع التابعين، وهذه هي القرون الثلاثة التي خيّرها رسول الله ﷺ بقوله: « **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب** ».[٥] الحديث وما حدثت بدعة التقليد إلا في القرن الرابع الذي ذمَّه رسول الله ﷺ ».[٦]

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: « ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع هذا يقلِّده فيه،

---

[١] إعلام الموقعين لابن القيم (٧/١).

[٢] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٨٥٨/٦).

[٣] أي خلاف قول إمامه.

[٤] مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٤١ ـ ٤٢).

[٥] ورد الحديث بلفظ: « **خير الناس** » و « **خير أمتي** ». وسبق تخريجه.

[٦] إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (١٦٩).

ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده ».[١] وقال: « وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصرُّ عليه مع علمه بضعفه وبُعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتدِ إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر ».[٢]

المبحث الثاني: في الاتباع وترك الابتداع.

أهل الحديث يتمسَّكون بالسنّة ولا يبتدعون:

وأهل الحديث يتمسكون بالكتاب والسنة ولا يزيدون عليهما في عبادة أو اعتقاد، ويعتقدون أن الله ﷻ أتمَّ عليهم النعمة، وأكمل لهم الدين، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وأن الرسول ﷺ بيّن الدين أتمّ بيان، فعن أبي ذر ﷺ قال: تَرَكَنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا وهو يذكر لنا منه علماً، فقال ﷺ: « **ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم** ».[٣]

وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة** ».[٤]

ولفظ (كل) من ألفاظ العموم، فيدخل فيها كل بدعة في الدين، قال الحافظ

---

[١] قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥).

[٢] نفس المصدر.

[٣] رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وسنده صحيح.

[٤] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

ابن حجر: قوله: « **كل بدعة ضلالة** ». قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها، فكأن يقال: (حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة). فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحَّت المقدمتان، وأنتجتا المطلوب.[١]

وأهل الحديث يخصون البدعة بالدين، أما المصالح المرسلة والبدع الدنيوية، فهذه التي تتناولها الأحكام التكليفية الخمسة، ولا يمكن أن تكون بدعة في عبادة، لأن الابتداع استحسان، والاستحسان تشريع، وقد أنكر الله على الذين يشرعون في دينه ما لم يأذن به، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]. وأما المصالح المرسلة فأمور حاجية تعرض للأمة في حياتها، والعبادات تامة، ولا تحتاج الأمة إلى عبادة لم يكمِّلها الشرع، وإلا اتهمنا الشرع بأنه لم يكمِّل العبادات التي يحصل بها الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « باستقراء أصول الشريعة، نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع ».[٢] وقد قعَّد العلماء قاعدة وهي: (الأصل في العبادات الحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ).[٣]

الأدلة من القرآن الكريم على وجوب الاتباع وتحريم الابتداع:

١ ـ قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

---

[١] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٢٥٤).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٩/١٦).

[٣] القواعد والأصول الجامعة للشيخ عبد الرحمن السعدي (٣١).

[آل عمران: ٣١].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

الأدلة من السنة:

١ ـ عن العرباض بن سارية ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال ﷺ: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** ».[١]

٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** ».[٢] وفي لفظ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ».[٣]

من أقوال السلف:

١ ـ عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ».[٤]

٢ ـ وقال أيضاً: « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ».[٥]

٣ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل قال له: أوصني، فقال: « عليك بتقوى

---

[١] رواه أحمد (١٢٦/٤ ـ ١٢٧) وأبو داود (٦٤٠٧) وغيرهما، وصححه الترمذي، والهروي، والبزار، والبغوي، وابن عبد البر، والحاكم، وأبو نُعيَم، وانظر تخريج الحديث في حاشية (الأمر بالاتباع للسيوطي) تحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان.

[٢] رواه البخاري (٢٦٩٧) في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

[٣] رواه مسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

[٤] رواه أبو خيثمة في العلم (ص ٥٤) وانظر شرح السنة للبغوي (٢١٤/١).

[٥] رواه ابن نصر في السنة (٢٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥٥/١ ـ ٨٨) والدارمي (٢٢٣) والحاكم (١٠٣/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع ».[١]

٤ ـ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة ».[٢]

٥ ـ وقال أبي بن كعب ﷺ: « عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً، وإنّ اقتصاداً في سبيل وسنةٍ خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنّة ».[٣]

٦ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإحياء السنة وإماتة البدعة.[٤]

٧ ـ وقال الزهري رحمه الله: « الاعتصام بالسنَّة نجاة ».[٥]

٨ ـ وقال الأوزاعي رحمه الله: « اصبر نفسك على السنَّة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم ».[٦]

وقال أيضاً: « عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول ».[٧]

من تطبيق السلف: وقد فهم السلف أن النهي عن البدعة عام ولم يستحسنوا شيئاً منها، وهذه بعض النقول التي تدل على فهمهم.

١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً عطس إلى جنبه، فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، ولكن ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: « **الحمد لله على كل حال** ».[٨]

---

[١] شرح السنة للبغوي (٢١٤/١).

[٢] اللالكائي (١٠٤/١). وابن نصر في السنة (٧٠) وهو صحيح.

[٣] اللالكائي (٥٩/١ ـ ٦٠).

[٤] نفس المصدر (٦٢/١).

[٥] نفس المصدر.

[٦] الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع لجلال الدين السيوطي (٤٩) بتحقيق الشيخ مشهور سلمان. دار ابن القيم ـ الدمام.

[٧] الشريعة للإمام محمد بن الحسين الآجري (٥٨) دار الكتب العلمية.

[٨] رواه الترمذي (٢٧٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

٢ ـ عن مجاهد رحمه الله قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما، فثوّب[١] رجل في الظهر ـ أو العصر ـ قال: اخرج بنا، فإنَّ هذه بدعة.[٢]

قال الترمذي: قال إسحاق ـ يعني ابن راهويه ـ: التثويب المكروه، هو شيء أحدثه الناس بعد النبي ﷺ، إذا أذَّن المؤذن فاستبطأ القومَ، قال بين الأذان والإقامة: « قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح ». قال الترمذي: « وهذا الذي قال إسحاق: هو التثويب الذي كرهه أهل العلم والذي أحدثوه بعد النبي ﷺ ».[٣]

٣ ـ وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما رأى قوماً في المسجد حِلَقاً، يسبحون الله بالحصى: « إما أنكم على ملةٍ أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة ».[٤]

٤ ـ عن سعيد بن المسيب رحمه الله: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة ؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنَّة.[٥]

من أقوال العلماء في ذم البدع:

وقد ذمَّ العلماء البدع وحاربوها، فمن ذلك:

١ ـ نقل ابن الماجشون عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: « من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أنَّ محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ».[٦]

٢ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله ﷺ، فليس لأحدٍ أن يجعل شيئاً عبادةً أو قربةً إلا بدليل شرعي ».[٧]

---

[١] هذا التثويب يسمّى التثويب المبتدع، وهو قول المؤذن قبل إقامة الصلاة: الصلاة يا مسلمون، الصلاة الصلاة، يقول ذلك على باب المسجد تذكيراً للناس بقرب الإقامة، وقد رأيت ذلك في بعض مساجد دمشق.

[٢] رواه أبو داود (٥٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٣] سنن الترمذي، في كتاب المواقيت، باب ما جاء في التثويب في الفجر.

[٤] رواه الدارمي (٦٨/١) بسند حسن.

[٥] رواه البيهقي بسند صحيح.

[٦] الاعتصام للشاطبي (١١١/١).

[٧] الفتاوى (٣٥/٣١).

٣ ـ وقال ابن القيم رحمه الله: « الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم الدليل على الأمر ».[١]

٤ ـ وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: « وباب القرباتِ يقتصر فيه على النصوص ولا يُتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ».[٢]

٥ ـ وقال الإمام الذهبي رحمه الله: « كل ما أُحدث بعد نزول هذه الآية: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فهو فضلة وزيادة وبدعة ».[٣]

٦ ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة ».[٤]

٧ ـ وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ».[٥]

الخاتمة:

لقد عرضت منهج المدرسة السلفية « أهل الحديث والسنة » وتوصلت إلى ما يلي:

١ ـ إن المدرسة السلفية تنتسب إلى السلف الصالح، وهي المدرسة التي أُطلق عليها لقب أهل الحديث لأنهم يعظمون حديث رسول الله ﷺ ، كما أُطلق عليها لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم يعملون بالسنة ويجتمعون عليها.

٢ ـ بيّنت المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة في العقيدة، وأن السلف كانوا يهتمون بالتوحيد، وأنه أول دعوة الرسل، كما بيَّنت اهتمام الصحابة وآل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد.

٣ ـ عرضت أهم الأسباب التي أدَّت إلى مخالفة الخلف لمنهج السلف، وذكرت أهم العلماء الذين تراجعوا عن مذهبهم الكلامي بعد أن أصابتهم الحيرة والاضطراب.

٤ ـ بيّنت منهجهم في تلقي الأحكام الشرعية العملية، وأنهم يقدمون الحديث

---

[١] إعلام الموقعين (٣٤٤/١).

[٢] تفسير ابن كثير (٢٧٦/٤) سورة النجم.

[٣] سير أعلام النبلاء (٥٠٩/١٨).

[٤] فتح الباري (٢٥٢/١٣).

[٥] جامع العلوم والحكم (٢٣٣). وانظر: إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم للشيخ سليم الهلالي (٤٠٢).

على الرأي والقياس، ولا يعدلون بالسنة قولَ أحدٍ من العلماء، وأن ذلك وصية الفقهاء الأربعة المجتهدين، وهو عمل أتباعهم الأولين.

٥ ـ كما بيّنتُ منهجهم في العبادة، وأنهم يتبعون ولا يبتدعون، عملاً بأمر رسول الله ﷺ بالاتباع، ونهيه عن الابتداع.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.